

الجاردیان: هجمات الحوثيين وصلت إلى نقطة الغليان – لكن الرد العسكري سيكون خطأ فادحاً



نشرت صحيفة الجاردیان البريطانية مقالاً للكاتب محمد بزي، أستاذ الصحافة في جامعة نيويورك، حول مخاطر الرد العسكري على هجمات الحوثيين.

يلفت الكاتب في مستهل مقاله إلى أن العالم كان قلقاً بشأن تمدد الحرب إلى صراع أوسع يأكل الأخضر واليابس في الشرق الأوسط منذ أن شنت إسرائيل هجومها المدمر وغزوها لغزة بعد هجمات 7 أكتوبر. وفي الأسابيع الأخيرة، تركّز خطر توسع الصراع على مكان غير مرجح: أفقر دولة في المنطقة، اليمن، التي عانت سنوات من الحرب الأهلية.

في أواخر أكتوبر، بدأت جماعة الحوثي في اليمن في إطلاق الصواريخ والطائرات المسيّرة باتجاه إسرائيل ثم تحركت للاستيلاء على السفن التجارية التي تبحر في البحر الأحمر. وزعم الحوثيون أنهم سيمنعون السفن الإسرائيلية – أو تلك المسجلة لدى مالكيها الإسرائيليين – من المرور عبر القناة حتى توقف إسرائيل هجومها على غزة.

في الأسابيع الأخيرة، صعد الحوثيون هجماتهم على سفن الشحن باستخدام الصواريخ والطائرات المسيّرة والزوارق الصغيرة. ودفعت الهجمات، التي شلت حركة المرور عبر طريق تجاري حيوي يربط آسيا بأوروبا والولايات المتحدة، إدارة جو بايدن إلى إطلاق عملية بحرية دولية الشهر الماضي لحماية السفن التجارية في البحر الأحمر.

في 31 ديسمبر، اشتبكت القوات الأمريكية والحوثية مباشرة لأول مرة عندما استجابت طائرات الهليكوبتر الأمريكية لنداء استغاثة من سفينة حاويات ترفع علم سنغافورة كانت تتعرض لهجوم من زوارق الحوثي. وفي معركة إطلاق النار التي تلت ذلك، أغرقت الولايات المتحدة ثلاثة من زوارق الحوثيين الأربعة، مما أسفر عن مقتل 10 مقاتلين.

وأثار الحادث تهديدات جديدة من المسؤولين الأمريكيين والمملكة المتحدة، الذين قالوا إنهم يفكرون في شن غارات جوية على أهداف للحوثيين في اليمن لمنع المزيد من الهجمات.

وأصدرت الولايات المتحدة وبريطانيا وعشرات الحلفاء يوم الأربعاء إنذاراً للحوثيين. وقال البيان إن «هجمات الحوثيين المستمرة في البحر الأحمر غير قانونية وغير مقبولة ومزعزعة للاستقرار»، حيث سرب مسؤولون عسكريون أمريكيون أنهم وضعوا قائمة بالأهداف المحتملة بما في ذلك منشآت رادار الحوثيين ومواقع إطلاق الصواريخ والطائرات المسيرة ومستودعات الذخيرة.

وأجبرت هجمات الحوثيين عديداً من أكبر شركات الشحن في العالم على إعادة توجيه سفن الشحن بعيداً عن البحر الأحمر وقناة السويس – وهو طريق يقصر الرحلة بين آسيا وأوروبا بألاف الأميال.

وبدلاً من ذلك، تحول السفن مسارها حول جنوب إفريقيا، مما قد يطيل رحلة سفينة الشحن لعدة أسابيع ويزيد من تكاليف الوقود والعمالة. كما تسببت الهجمات في أضرار اقتصادية لإسرائيل، التي فقد ميناء إيلات 85% من نشاطها البحري منذ بدء حملة الحوثيين.

خطأ فادح

من خلال تعطيل التجارة العالمية، يفرض الحوثيون تكلفة غير متوقعة على الولايات المتحدة وحلفائها لدعمهم لإسرائيل. لكن الحوثيين يجرون الولايات المتحدة والغرب إلى طرح خاسر إذا ردوا بهجمات على اليمن: تقول الولايات المتحدة وحلفاؤها الأوروبيون جميعاً إنهم حريصون على منع انتشار حرب غزة إلى أجزاء أخرى من الشرق الأوسط.

ويوضح الكاتب أن الرد العسكري بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا على هجمات البحر الأحمر يهدد بحدوث حريق أوسع – ومن غير المرجح أن يجبر الحوثيين على تغيير تكتيكاتهم. ومن خلال مهاجمة اليمن، يخاطر التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة أيضاً بقلب وقف إطلاق النار الهش بين الحوثيين والسعودية، الذين خاضوا حرباً منذ أوائل عام 2015.

وحول محاولات الضغط على إيران لكبح جماح الحوثيين، يقول الكاتب إن الحوثيين لديهم مصالحهم وأولوياتهم الخاصة. لليمنيين تاريخ طويل في دعم القضية الفلسطينية، ويضع الحوثيون أنفسهم على أنهم المجموعة الوحيدة التي تتخذ إجراءات ملموسة ضد إسرائيل، على عكس الفصائل اليمنية المتنافسة، التي التزمت الصمت إلى حد كبير منذ غزو غزة. ويحاول الحوثيون أيضاً حشد دعم إقليمي أوسع، ويقارنون أفعالهم بأفعال الحكومات العربية التي أدانت إسرائيل لكنها لم تتراجع عن اتفاقيات التطبيع التي وقعوها مع إسرائيل خلال إدارة دونالد ترامب.

هناك جرح آخر يمكن إعادة فتحه إذا استخدمت الولايات المتحدة قوتها العسكرية ضد الحوثيين. أنفقت المملكة العربية السعودية ما بين 5 مليارات دولار و 6 مليارات دولار شهرياً في قتال الحوثيين في ذروة حرب اليمن – فقط لتخسر فعلياً وتضطر إلى توقيع هدنة في عام 2022. ولا يزال الجانبان يتفاوضان على وقف دائم لإطلاق النار يتضمن شكلاً من أشكال التعويضات السعودية.

لكن تلك الجهود التي تحققت بشق الأنفس في اليمن معرضة الآن للخطر بسبب أزمة البحر الأحمر. وإذا هاجمت الولايات المتحدة الحوثيين، يمكن للمليشيا إعادة صياغة المواجهة كوسيلة لتصفية الحسابات القديمة مع واشنطن.

وإذا هاجم تحالف تقوده الولايات المتحدة الحوثيين في الأسابيع المقبلة، فسيكونون حريصين على تذكير العالم بأن واشنطن وحلفائها ساعدوا في التحريض على أزمة إنسانية استمرت لسنوات في اليمن – وأن الولايات المتحدة تخاطر بحريق أوسع سيجلب المزيد من البؤس للشرق الأوسط.